تفسير إبن كثير

لَّوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ

يقول تعالى : (فاصبر) يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم ; فإن االله سيحكم لك عليهم ، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ، (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني : ذا النون ، وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبا على قومه ، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له ، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير ، الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير ، فحينئذ نادى في الظلمات . (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) [الأنبياء : 87] . قال االله (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) [الأنبياء : 88] ، وقال تعالى : (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) [الصافات : 143 ، 144] وقال هاهنا : (إذ نادى وهو مكظوم) قال ابن عباس ومجاهد والسدي : وهو مغموم . وقال عطاء الخراساني وأبو مالك : مكروب . وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) خرجت

الكلمة تحف حول العرش ، فقالت الملائكة : يا رب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة ، فقال االله : أما تعرفون هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا يونس . قالوا : يا رب ، عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة ؟ قال : نعم . قالوا : أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ فأمر االله الحوت فألقاه بالعراء ; ولهذا قال تعالى : (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين)وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد االله قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى " .ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة .